

- الاسم: صونية.
- اللقب: أوعثماني.
- المستوى: طالبة دكتوراه، تخصص مقارنة أديان، جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة-
- العنوان الإلكتروني: ouatmani.sona89@gmail.com
- رقم الهاتف: 0667755824.

محور المداخلة: المحور الأول: النشأة والتطور

عنوان البحث:

فرقة التوحيديين

– جذورها وعقائدها –

تعد شخصية يسوع المسيح الشخصية الأكثر جدلاً في التاريخ البشري فميلاده ومعجزاته وموته وقيامته – بحسب المعتقد المسيحي – جعلت منه إلهًا في نظر البعض ونبياً – بشراً – في نظر آخرين خاصة أن الشهادات الأولى المكتوبة عنه تتطّلع أن تظهره دائماً أنه كان إنسان وأكثر من إنسان في نفس الوقت، حيث دام الجدل حول هذه القضية حوالي أربعة قرون إلى غاية مجمع نيقية أين تم تقنين قانون الإيمان المسيحي والإقرار بعقيدة التثليث وألوهية المسيح، وتمّ الاتفاق على عقيدة تجمع جميع المسيحيين والتصدي لجميع الهرطقات ومن بين الشخصيات الذين قالوا ببشرية المسيح وتم اضطهادهم: بولس الشمشاطي أسقف أنطاكيا، الأسقف لوسيان الأنطاكي أستاذ أريوس والأستاذ الشهير أريوس أسقف كنيسة بوكاليس في الإسكندرية، ويوسيبوس النيقوديمي أسقف بيروت... لكن رغم تصدي الباباوات لوقف هذه الحركات إلاّ إنّها لم تختف ومازالت آثارها باقية إلى اليوم فقد ظهرت في القرن السادس عشر الأفكار التوحيدية لدى العديد من اللاهوتيين في بولاندا ورومنيا، المجر، إنجليترا ثمّ انتقلت فيما بعد إلى شمال أمريكا أين تأسست الجمعية التوحيدية الأمريكية على يد: القسيس الأمريكي **ويليام إيليري تشانين William Ellery Channing (1780-1842)** الذي كان له الفضل في تطوير وإرساء دعائم الكنيسة التوحيدية **Church Unitarian** في أمريكا و بريطانيا التي تعتبر الموحدين القدامى والفرق الموحدة القديمة جذورها وسلفها الصالح واستمرار للحركة السوسيانية التوحيدية التي ظهرت ونمت في القرن السادس عشر والتي مثّلت في الواقع أول انطلاق للكنيسة التوحيدية في العصور المتأخرة، هنا نستخلص أنّ فكرة نفي ألوهية المسيح ليست أمراً حديثاً في تاريخ المسيحية بل يمثّل في الواقع استمرار لخط مسيحي قديم جداً يرجع في أصوله إلى تلاميذ المسيح واستمرّ في جميع العصور، فلم يكد يخل عصر من تاريخ المسيحية من

أشخاص وأساقفة ولاهوتيين آمنوا ونادوا وناقشوا عن الوحدانية المحضة لله نافين عقيدة التثليث وتأليه المسيح لأنهم يرون أنه لا يوجد في الكتاب المقدس ما يدل على ذلك، هنا تتضح الإشكالية الرئيسية للبحث: ماهي جذور فرقة الموحدين؟ وماهي أهم معتقداتهم وأفكارهم؟ ومن بين النقاط التي سأطرق لها في ثنايا البحث:

- التعريف بفرقة الموحدين.
- التأسيس: أبرز الشخصيات التوحيدية في تاريخ المسيحية ودورها في نقل الاتجاه إلى أمريكا.
- الأفكار والمعتقدات.
- عددهم وأماكن انتشارهم.

التوحيد في التاريخ المسيحي:

إنّ التوحيد في المسيحية ليس وليد القرن الثامن عشر بل تمتد جذوره إلى عصر المسيح وكيف آمن به تلاميذه كرسول وني قبل تقنين عقيدة التثليث في مجمع نيقية في القرن الرابع ميلادي ولمعرفة أصول فرقة التوحيديين سنعرض في هاته الجزئية أهم الفرق والطوائف المسيحية المؤمنة ببشرية المسيح على مر القرون كما يلي:

- التوحيد قبل مجمع نيقية:

نشأ الجيل الأول بعد المسيح مؤمناً بتوحيد الله وعبودية المسيح وأنه كان نبياً ورسولاً ويظهر ذلك في ما سطره الإنجيليون والقديسون بما فيهم بولس من نصوص موحدة⁽¹⁾ وأعرض هنا بعض الفقرات من العهد الجديد بقايا التوحيد فيه:

التوحيد في العهد الجديد: وأقصد هنا الأناجيل والرسائل المعترف به كنسياً، فرغم التناقضات الواقعة في هذه الكتب واستبدال عقيدة التثليث الدخيلة بعقيدة التوحيد الأصلية إلا أنّ هذه الكتب لا تخلو من النصوص التي تصرّح بوحدانية الله وببشرية المسيح وأذكر هنا بعض نصوص العهد الجديد والتي تعدّ أساساً لنشأة الفرق والطوائف المسيحية الموحدة عبر التاريخ المسيحي باعتبار أنّ النص الديني هو أساس نشأة الفرق والطوائف الدينية، ورغم محاولة رجال الدين قمع هذه الفرق القائلة ببشرية المسيح إلا أنّ

(1) منقذ بن محمود السقار، الله جلّ جلاله واحد أم ثلاثة، (سلسلة الهدى والتور) مكة المكرمة، دط، 1424هـ، ص115.

صداها باقي إلى يومنا الحالي في أغلب مناطق العالم، ومن بين تلك النصوص الدالة على بشرية المسيح أذكر نص واحد من كل إنجيل كما يلي:

ورد في إنجيل متى أن إبليس طلب من المسيح أن يسجد له من دون الله حينئذ قال له يسوع⁽¹⁾:
[أَذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلَهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ]⁽²⁾ وفي إنجيل مرقس جاء أحد الكتبة يسأل يسوع عن أول وصية في التاموس فأجابه يسوع: [إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبُّ وَاحِدٍ]⁽³⁾ وفي إنجيل لوقا يناجي المسيح ربّه فيقول: [أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الْآبُ، رَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ]⁽⁴⁾ وكذلك الحال في إنجيل يوحنا، فإن المسيح يرفع عينيه نحو السماء فيقول: [وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحَدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ]⁽⁵⁾ هذه بعض الأمثلة فقط وأمثالها كثيرة في الأناجيل وفي رسائل بولس جاء: [لَأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ]⁽⁶⁾ وفي الرسالة إلى أهل غلاطية: [وَأَمَّا الْوَسِيطُ فَلَا يَكُونُ لِوَاحِدٍ. وَلَكِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ]⁽⁷⁾ وفي رسالة يعقوب: [أَنْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ]⁽⁸⁾.

لا يخفى على أحد أنّ المسيحية اشتقت من اليهودية يقول يسوع لتلاميذه: [لَمْ أَرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلِ الضَّالَّةِ]⁽⁹⁾ واليهودية صارمة في عقيدة التوحيد: [ثُمَّ تَكَلَّمَ اللَّهُ بِجَمِيعِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ قَائِلًا أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ لَا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي لَا تَصْنَعْ لَكَ تَمَثَالًا مَنحُوتًا، وَلَا صُورَةً مَا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقَ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ تَحْتِ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَهٌ غَيْرٌ]⁽¹⁰⁾

(1) محمد أحمد الحاج، التصارنية من التوحيد إلى التثليث، القلم، دمشق، ط1، 1992م، ص 74.

(2) متى 4: 15.

(3) مرقس 12: 29.

(4) لوقا 10: 21.

(5) يوحنا 17: 3.

(6) رومية 3: 30.

(7) غلاطية 3: 20.

(8) يعقوب 2: 19.

(9) متى 15: 24.

(10) خروج 20: 1-5.

نلاحظ أنّ الطّريق الذي سار من أورشليم (مجمع التلاميذ الأوائل) إلى نيقية حيث عقد المجمع المسكوني الأوّل لمحاولة الاتفاق على عقيدة واحدة بدلاً من تلك العقائد المتضاربة من النادر القول بأنّه كان طريقاً مستقيماً، فعقيدة التثليث التي أقرّت في القرن الرابع ميلادي لم تعكس بدقّة التعليم المسيحي الأوّل فيما يتعلّق بطبيعة الله⁽¹⁾ لذلك نجد الكثير من المسيحيين لم يقبلوا التثليث.

تقول دائرة المعارف الأمريكية: " لقد بدأت عقيدة التوحيد - كحركة لاهوتية - بداية مبكرة جداً في التاريخ، وفي حقيقة الأمر فإنّها تسبق عقيدة التثليث بالكثير من عشرات السنين"⁽²⁾ وهنا حاولت أن أبين بعض المؤّخين قبل مجمع نيقية كما يلي:

التهودية: جماعة من اليهود عاشت في القرن الأوّل الميلادي تؤمن بالمسيحية دون أن يمنعها هذا الإيمان من استمرار ولائها للدين اليهودي والشريعة الموسوية وأصروا على ضرورة اعتبار يوم السبت يوماً مقدّساً وضرورة الختان والإمتناع عن تناول الطّعام النجس ولم يشعر هؤلاء اليهود الذين آمنوا بالدين الجديد بأي تعارض بين يهوديتهم وبين تحويلهم إلى الدّين الجديد بل يشعر هؤلاء ينضون تحت لواء دين جديد بل ظنوا أنّهم يشاركون في حركة أخلاقية إصلاحية تدعو إلى الطّهارة والنّقاء⁽³⁾.

الأبيونية: يقول يوسابيوس القيصري عنهم أنّهم اعتقدوا في المسيح اعتقادات فقيرة ووضيعة، فهم يعتبرونه إنساناً بسيطاً عادياً، قد تبرّر فقط بسبب فضيلته السامية، وكان ثمرةً لاجتماع رجل معيّن مع مريم، وفي اعتقادهم أنّ الاحتفاظ بالتأموس الطّقسي ضروري جداً⁽⁴⁾ ولهذا أطلق عليهم اسم "أبيونيين" الذي يعبر عن فقرهم في التفكير، لأنّ هذا هو الاسم الذي يطلق على رجل فقير بين العبرانيين⁽⁵⁾.

(1) أحمد عبد الوهّاب، طائفة المؤّخين من المسيحيين عبر القرون، ص 9.

(2) نقلا عن أحمد عبد الوهّاب، طائفة المؤّخين من المسيحيين عبر القرون، مكتبة وهبة- دار التّضامن، ط 1، 1980م ص 9.

(3) رمسيس عوض، المرطقة في الغرب، سينا، القاهرة، ط 1، 1997م، ص 18.

(4) يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تر: مرقس داود، القاهرة، ط 2، 1979م، ص 155.

(5) يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ص 156.

أتباع بولس السامسائي: أسقف أنطاكيا الذي نادى بأن المسيح مجرد إنسان وصل إلى درجة الألوهية بكماله الخلقى، وأنكر أقنومي الابن والروح القدس، معتبراً إياهما مجرد قوتين في الله كقوتي العقل والتفكير في الإنسان وقد حرم على يد مجمع عقد سنة 262م⁽¹⁾.

الأريوسية: نسبة إلى القس الليبي أريوس المولود بشرق ليبيا عام 270م المعروف بقوته في الحديث وجاذبيته في البحث والشرح، درس الكثير من العلوم والمعارف ثم نزع إلى الإسكندرية حيث التحق بمدريستها اللاهوتية المرقسية ومن أهم تعاليمه إنكار لاهوت المسيح وقوله أنه مخلوق وغير مساوٍ للآب في الجوهر⁽²⁾.

كانت هرطقة أريوس كما يسميها المسيحيون القطرة التي أفاضت الكأس خاصة بعدما بدأ بنشر أفكاره جهاراً ويعظ بالفقرة القائلة: [أبي أعظم مني]⁽³⁾ ومنادياً بأن المسيح غير مساوٍ للآب في الجوهر بل هو مخلوق بإرادة الآب، ولم تمض فترة حتى ذهب الكثيرون من أفراد الشعب يشكون للبابا ألكسندروس إنحراف أريوس عن الإيمان فجمع البابا مجمعاً محلياً بالإسكندرية سنة 319م يظهر للأريوسيين وجوب الرجوع الرأي السليم، وجمع آخر مكانياً 321م حضره حوالي 100 أسقف من مصر وليبيا حيث حكم بتجريد أريوس من رتبته الكهنوتية وحرم كل أتباعه وتعاليمه الفاسدة⁽⁴⁾ واستمرار أريوس بنشر تعاليمه أدى إلى انعقاد المجمع المسكوني الأول بمدينة نيقية في شهر مايو سنة 325م⁽⁵⁾ ومن أهم قراراته التي فرضت على المسيحيين فرضاً قرار المجمع ألوهية المسيح وأنه من جوهر الله وطرده كل من يخرج على هذه العقيدة⁽⁶⁾ ويعدّ هذا العام أول تاريخ يتخذ فيه قرار ضد التوحيد ويحكم بألوهية المسيح فالمسيحية كانت قبل هذا المجمع قائمة على التوحيد وكانت الأغلبية منهم من المؤحدين، ولكن المجمع فرض نفسه وفرض قراراته في قضية هي أخطر من أخطر قضايا العقيدة⁽⁷⁾.

(1) رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، (قسطنطين) ج 1، 1974م، ص 174

(2) كيرلس الأنطوني، عصر المجمع (دراسة علمية وثائقية للمجامع المسكونية الكبرى الأربعة)، تن: ميخائيل مكسي إسكندر، مكتبة المحبة، مصر، ط 1، 2002م، ص 42-44.

(3) يوحنا 14: 28.

(4) كيرلس الأنطوني، عصر المجمع (دراسة علمية وثائقية للمجامع المسكونية الكبرى الأربعة)، ص 46-47.

(5) كيرلس الأنطوني، عصر المجمع (دراسة علمية وثائقية للمجامع المسكونية الكبرى الأربعة)، ص 87.

(6) سلطان عبد الحميد سلطان، المجمع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط 1، 1990، ص 91.

(7) سلطان عبد الحميد سلطان، المجمع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية، ص 96.

إنّ انتصار عقيدة التّثليث في مجمع نيقية لا يعني بتاتاً زوال واندثار عقيدة التّوحيد بل بقي لها أتباع في جميع العصور إلى يومنا الحالى يؤمنون بعقيدة التوحيد الخالص لله ورفض الخلط بين الله وبين المسيح رغم تفاوت تقديسها للمسيح⁽¹⁾.

التّوحيد بعد مجمع نيقية:

بعد محنة أريوس وتشتيت تلاميذه وقتلهم وبسط سلطان الكنيسة البولسية بسيف الإمبراطور ضعفت شوكة الفرق الموحدة ولكنها لم تختف فقد عادت بعد أن احتاحت ثورة الإصلاح الكنائس وضج الشعب من تسلط الكنيسة عليهم وثار ثورته وهنا ضعفت الكنيسة فخرجت الطائفة الموحدة إلى ظاهر الأرض مرة أخرى وازدهر نشاط الموحدين في أوربا⁽²⁾، حتى أنّ ملك المجر هوجون سيجموند (توفي 1571م) كان موحداً⁽³⁾ وفي ترانسالفنيا ازدهر التّوحيد وكان من الموحّدين المشهورين فرانسيس داوود (توفي 1579م) الذي أدخل السّجن ثم أصدر الملك قراراً يمنع الموحّدين من نشر كتبهم دون إذن خاص منه، وفي بولونية ظهر سوسنس الموحّد، وكان له أتباع يعرفون بالسّوسنسيين وقد أنكروا التّثليث ونادوا بالتّوحيد، وفي إسبانيا سرفيتوس الذي كان متأثراً إلى حدّ ما بأدب اليهود والمسلمين إذا قرأ القرآن وشقّ طريقه في التأويلات التّلمودية وتأثر بنقد السّاميين للمسيحية (بصلواتها للثالوث ولمريم وللقديسين) باعتبارها شركاً، وكان يسوع في نظره رجل نفخ فيه الرّب الأب كلمة الله والحكمة الإلهية وبهذا أصبح ابن الرّب ولكنه لم يكن كفواً للآب أو سرمدياً مثله يستطيع أن يوصل روح الحكمة نفسها إلى الآخرين من النّاس "إنّ الابن أرسل من الآب بطريقة لا تختلف عن تلك التي أرسل بها واحد من الأنبياء" واستطرد سيرفيتوس ليستشهد برأي الساميين في القول بالثالوث الأقدس: " وكلّ من يؤمن بثالوث أقدس بروح الله يقول بوجود ثلاث أرباب" وأضاف قائلاً: " إنهم ملحدون حقاً باعتبارهم منكرين لوجود إله واحد"⁽⁴⁾.

(1) أحمد عبد الوهّاب، طائفة الموحّدين من المسيحيين عبر القرون، ص 11.

(2) <http://www.ebnmaryam.com/vb/t182161.html> يوم: 10 / 12 / 2018م، على الساعة 01:01.

(3) إبراهيم بن عبد الرّحمان الدميحي، المسيحية من التّوحيد إلى الوثنية، سلسلة: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء)، دط، 1433هـ، ص 17.

(4) ول ديورانت، قصّة الحضارة (الإصلاح الدّيني)، ت: عبد الحميد يونس، دار الجيل، بيروت، دس، ج 24، ص 240-241.

ثمّ ظهرت جمعيات تحارب التّثليث منها الحركة المضادة للتّثليث في شمال إيطاليا في أواسط القرن السّادس عشر تلتها الحركة المعادية للتّثليث التي ترأّسها الطّبيب المشهور **جورجيو بندراثا**(1558م) وفي عام 1562م عقد مجمع بيزوا وكان القسّس فيه يتكلّمون عن التّثليث فيما كان غالبية الحضور منكرين له، وفي القرن السّابع عشر قويت بعض الكنائس الموحّدة على قلة أتباعها وأصدر الموحّدون عام 1605م مطبوعاً مهمّاً جاء فيه: **"الله واحد في ذاته والمسيح إنسان حقيقي والروح القدس ليس أقنوماً"** وفي عام 1658م صدر مرسوم لجماعة موحّدة في إيطاليا وكان من رواد التّوحيد في تلك السّنين **جون بيدل** الذي توفي 1662م، وسمي أبو التّوحيد الإنجليزي وكان قد توصّل بعد دراسة عميقة إلى الشّك في عقيدة التّثليث فجهر بذلك وسجن مرّتين ثمّ نفى إلى صقلية⁽¹⁾ وفي القرن الثّامن عشر غلبت تسمية هؤلاء الموحّدين بالآريوسيين، ومنهم الدّكتور **تشارلز شاونسي**(توفي 1787م) راعي كنيسة بوسطن وكان يرأس الآريوسيين الإنجليزي والذي اشتهر عن المفكر السّياسي والفيلسوف التّجريبي الإنجليزي **جون لوك** (توفي 1704م) أنّه كان من الموحّدين⁽²⁾.

ومن الطوائف نجد طائفة **شهود يهوه**: جماعة أسّسها **تشارلز رسل**(1854م) في مدينة أليفاني بالولايات المتحدّة الأمريكية الذي كان متمرّداً على التّعاليم الكالفينية ودرس مبادئ جماعة السّبتيين واقنع بها كما أقنع بأفكار أريوس الذي أنكر لاهوت المسيح وهم ضد عقيدة الثّالوث وضد لاهوت الابن ولاهوت الرّوح القدس ويرون أنّ المسيح إله ولكن ليس الله بل إله وسيط وهذه أفكار آريوسية⁽³⁾ سمّو بشهود يهوه نسبة إلى: **[أنتم شهودي، يقول الربُّ]**⁽⁴⁾.

الحركة السوسيانية أو فرقة التّوحيديين: يعود اسم الفرقة إلى لاهوتيين من عائلة إيطالية واحدة تدعى عائلة سوسيني أو سوزيني أهمّ ما يميّز هذه الحركة هي إحياءها لعقيدة كانت الكنيسة قد اعتبرتّها من القدم هرطقة وهي عقيدة وحدانية الآب في ذاته وأقنومه وشخصه ونفي ألوهية المسيح وبنوّته الحقيقية لله

(1) إبراهيم بن عبد الرّحمان الدميحي، المسيحية من التّوحيد إلى الوثنية، ص 18-19.

(2) إبراهيم بن عبد الرّحمان الدميحي، المسيحية من التّوحيد إلى الوثنية، ص 20.

(3) ماهر يونان عبد الله، الطوائف المسيحية في مصر والعالم، تق: جرجس صبحي، المركز المصري، دط، 2001، ص 234.

(4) إشعيا 43: 15.

والقول ببنوة تشريفية أو بالتبني ونفي ألوهية الروح القدس كأقنوم منفصل عن الله وبالنتيجة نفي عقيدة التثليث وهذا سمي أتباع السوسيانية المخالفون أو المضادون للتثليث⁽¹⁾.

في القرن التاسع عشر ميلادي أُسست في عدة مناطق كنائس موحدة واجتذبت شخصيات مهمة وتكوّنت عام 1825م جمعية التوحيد الأمريكي كما أضحت مدينة ليون الهولندية وجامعتها مركزًا للتوحيد، وفي مطلع القرن العشرين تزايد الموحّدون وازداد نشاطهم وأثر بوجودهم ما يقارب 400 كنيسة في بريطانيا ومستعمراتها ومثلها في الولايات المتحدة الأمريكية، إضافة إلى كليتين لاهوتيتين تعلّمان التوحيد هما مانشيتير وأكسفورد في بريطانيا وكليتين في أمريكا إحداهما في شيكاغو والأخرى في بركي ببريطانيا، وما يقارب 160 كنيسة في المجر وغير ذلك في أوروبا وفي عام 1921م عقد مؤتمر حضره عدد كبير من رجال الدين في أكسفورد برئاسة الأسقف راشدل الذي قال في خطابه: "إنّ قراءته للكتاب المقدّس لا تجعله يعتقد أنّ المسيح إلهاً وأما ما جاء في يوحنا ممّا لم تذكره الأناجيل الأخرى فلا يمكن أن ينظر إليه على أنّه تاريخ حقيقي وأنّ كل ما قيل في ميلاد المسيح من عذراء وشفائه للأمراض وأنّ روحه سابقة للأجساد كلّ ذلك لا يدعو للقول بألوهيته"، ثمّ أصدر ثمانية من علماء اللاهوت في بريطانيا كتابًا سمّوه (المسيح ليس ابن الله) وقد أكدوا ما جاء في الكتاب (أسطورة تجسّد الإله) الذي كتبه سبعة من علماء اللاهوت سنة 1977م وذكر في عدم عصمة الكتاب المقدّس وقالوا: "إنّ إمكانية تحوّل الإنسان إلى إله لم تعد بالشّيء المعقول والمصدّق به في هذه الأيام"⁽²⁾، هذه أشهر فرق الموحّدين وأشهر دعاياتها.

الموحّدون في الولايات المتحدة الأمريكية:

التأسيس وأبرز الشخصيات:

كان من بين المؤسسون الأوائل لأمريكا جمعٌ غفيرٌ من المهاجرين بدينهم المتسمين باسم "الحجاج" قد تحملوا مشقة الرحلة الطويلة إلى بلاد نائية فرارًا من الحروب الدينية الضروس التي اجتاحت أوروبا لاسيما منذ ظهور الحركة الإصلاحية، وكان من بين المؤسسين مفكرون وساسة يؤمنون بالتسامح ويمقتون الاضطهاد بنفس المقدار الذي كان عليه مفكرو التنوير في أوروبا أو أكثر وهكذا أسسوا

(1) سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، ص 169.

(2) إبراهيم بن عبد الزحمان الدميحي، المسيحية من التوحيد إلى الوثنية، ص 22-24.

الدولة الناشئة على مبدأ فصل الدين عن الدولة، لكن بشكل يختلفان عمّا هو الحال عليه في أوروبا، ففي فرنسا مثلاً كانت الثورة الفرنسية معادية للدين وكان فصل الكنيسة عن الدولة إقصاءً للمتدينين، وسلباً لمكانة الكنيسة، أمّا في أمريكا فقد جعلوه صيانةً للدين، وحفظاً لمكانة الكنائس وأتاحوا للمتدينين الحرية في الانتماء إلى الكنيسة التي يريدون، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تجاوزوه إلى الاتفاق على نفي أن تكون الدولة نصرانية رسمياً وذلك أن المؤسسين الكبار كانوا يؤمنون بأفكار عصر التنوير وفلسفاته مع تفاوت بينهم في الالتزام الديني الشخصي في الذهاب إلى الكنائس أو الإنتساب إليها إلا أن كنيسة واحدة فقط كان الانتماء إليها ينسجم مع الأفكار التنويرية وهي الكنيسة الموحدة بحيث يمكن القول: أنه لو كان للحكومة الناشئة أن تختار ديناً رسمياً للدولة لما كان إلا دين الموحدين⁽¹⁾ وهذا ظاهر من استقراء عقائد الرؤساء الأوائل وعقائد المفكرين الأوائل مثل: **[بنيامين فرانكلين]**، **[رالف أمرسن]** ففي سنة (1785م) تحولت كنيسة الملك في بوسطن إلى كنيسة موحدة حيث قرر أعضاؤها حذف الألفاظ الدالة على التثليث في الصلوات، ثم أسست كنيسة توحيدية في فيلادلفيا (سنة 1794م) وبعد ذلك حدث تحول آخر مهم وهو انتقال كنيسة الحجاج التي أسست سنة (1620م) إلى كنيسة موحدة سنة 1802م، وتوّجت هذه الأحداث حدث من أعظم الأحداث في التاريخ الديني النصراني وهو قيام الرئيس الأمريكي الثالث **[توماس جيفرسن]** بتأليف إنجيل جديد هدّب فيه الأناجيل المعروفة في نسخة منقحة محذوف منها كل ما يدل على التثليث كما حذف ما يدل على المعجزات وهنا يظهر عليه أثر عقلانية عصر التنوير، في سنة 1825م أسست المنظمة التوحيدية في أمريكا، ثم أسس الجمع الوطني في سنة 1865م، ولم تزل الحركة في صعود مستمر لاسيما بين الطبقة المثقفة حتى بلغ الذروة في تولي أحد الموحدين **[وليام تافت]** رئاسة الولايات المتحدة، وأعقب ذلك توليه رئاسة الموحدية سنة (1917م) وآخر المشهورين من السياسيين الموحدين هو **[أدلاي ستينفس]** المرشح الرئاسي الذي كان وزيراً في حكومة **جون كندي** الرئيس الكاثوليكي الوحيد للولايات المتحدة وقد توفي سنة (1965م)⁽²⁾.

لقد كانت عقيدة التوحيد موقّعة في اجتذاب بعض القادة المهيمنين لجانبها مثل: **وليم الرّي شاننج** (1742 - 1780) راعي الكنيسة في بوسطن أنّ موعظته عن مسيحية التوحيد التي وعظها في ماي

(1) <http://www.alhawali.com/main/8664-2-1> يوم 2018/12/10م، على الساعة 22:15.

(2) <http://www.alhawali.com/main/8664-2-1> يوم 2018/12/10م على الساعة 22:24.

1819م في مناسبة رسامة القس جارد سباركس راعياً لكنيسة الموحّدين في بلتيمور والذي صار فيما بعد مؤرّخاً ورئيساً لجامعة هارفارد ليست فقط واحدة من أبرز البيانات عن عقائد الموحّدين بل إنّها كذلك واحدة من أعظم الوثائق الدّينية التي كتبت في أمريكا⁽¹⁾ وكان له الفضل في تطوير وإرساء دعائم الكنيسة التوحيدية Church Unitarian في أمريكا و بريطانيا بفضل مواعظه البليغة وخطبه القوية ومحاضراته القيّمة⁽²⁾.

ويذكر أحمد عبد الوهّاب في كتابه طائفة الموحّدين من المسيحيين عبر القرون: أنّه باسترجاع مرحلة تأسيس أمريكا يجدر القول بأن المسلمين بسبب تخلفهم الديني والحضاري حينئذٍ قد فوتوا فرصة عظيمة حيث كانت الدولة الأمريكية الناشئة مهياًة لاعتناق التوحيد الحقيقي والدخول في دين الإسلام، وإن شئت فقل: أنّه كان يمكن أن يكون للمسلمين مكانة كبرى في ذلك المجتمع الجديد لو أن الأمة والدعوة في ذلك الحين كانت في حال أفضل، لقد كان اللّبراليون في القرن الثّامن عشر أريوسيين نذكر منهم تشارلز شاونسي (1705-1787) راعي كنيسة بوسطن الذي يتراسل مع الأريوسيين الإنجليز وكذلك القس يوناتان ميهيو الذي ناضل بشدّة ضد التّثليث، وفي القرن الثّاسع عشر يستحوذ التّوحيد بالتدرّيج على كثير من الوعّاظ في نيوجانلد ويمتدّ تأثيره إلى الجنوب والغرب حيث تؤسّس كنائس توحيدية في بلتيمور ووشنطن وبفلور وأماكن أخرى⁽³⁾.

الأفكار والمعتقدات:

- لا يعتقدون بأهم الأصول المسيحية الكنسية التي درجت الكنيسة منذ القرن الميلادي الثّالث على اعتبارها أسس وأركان الإيمان المسيحي، فلا يؤمن التّوحيديون بالتّثليث فمن هنا جاءت تسميتهم بالتّوحيديين Unitarians يرون أنّ الله واحد في شخصه وأقنومه لا تعدّدية في ذاته.
- المسيح بشر محض حادث ومخلوق كسائر البشر، فهم يتّفقون في مفهوم الألوهية ووحداية الله مع اليهود والمسلمين تماماً.

(1) أحمد عبد الوهّاب، طائفة الموحّدين من المسيحيين عبر القرون، ص52.

(2) سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتّى اليوم (دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية)، ص113.

(3) أحمد عبد الوهّاب، طائفة الموحّدين من المسيحيين عبر القرون، ص51-52.

- لا يؤمنون بالتجسّد وهذا فرع طبيعي لنفهم ألوهية السيّد المسيح، كما يرون عدم صحّة فكرة الفداء والكفّارة⁽¹⁾ وأنّ الحقيقة المزعومة عن أنّه يسوع مات من أجل خطايا البشر مرفوضة قطعاً لأنّ الاعتقاد في أنّ يسوع كان له هذه النّيحة، إنّما يعني الطّعن في أخلاق الله، إنّ الله لا يجب أن يعرف عن طريق اللّعة، بل عن طريق الحلم والحكمة والمحبة⁽²⁾.
- أنّ الموخّدين ينظرون إلى يسوع باعتباره واحداً من قادة الأخلاق الفاضلة للبشر، ولو كان إلهاً فإنّ المثل الذي ضربه بعيشته على الأرض يفقد كل ذرّة من القيمة حيث أنّه يملك قوى لا يملكها البشر، وأنّ الإنسان لا يستطيع تقليد الله⁽³⁾.
- أنّ عقيدة الخطيئة الأصلية التي تولد مع كل إنسان والتي اقتضت حسب عقيدة المسيحية دم المسيح ليسفك على الصّليب لتكفيرها ومصالحة الإنسان مع الله عقيدة مخترعة، ولا أساس لها من الصّحة.
- لا يؤمنون بعقاب النّار الأبدي بلا نهاية للأشرار الخاطئين، ويعتبرون كل العقائد التي تبنتها الكنيسة المسيحية التاريخية: من التّثليث، والتجسّد والصّلب والفداء والكفّارة، عقائد دخيلة على رسالة المسيح، لا تؤيّدتها نصوص الكتاب المقدّس الأصلية.
- أنّ الإنسان صالح بالفطرة رغم أنّه يخطئ ويقع في الخطأ وأنّ العقيدة الدّينية يجب أن يكون الغرض منها هو العمل على حفظ الإنسان
- التّوحيديون يميّزون العشاء السّري لا كطقس سرّي بل كتذكّر ومشاركة روحية مع نبيّهم السيّد المسيح لا كطقس سرّي، بل كتذكّر ومشاركة روحية مع نبيّهم السيّد المسيح قبيل وفاته.
- يقبلون تعميم الأطفال رغم أنّ بعض كنائس التّوحيديين تحصر التّعميد للبالغين فقط.
- كانت أهم ملامح الفكر التّوحيدي الأمريكي اعتناقهم العقيدة الأريوسية في شأن المسيح وإيمانهم بحجّة الكتاب المقدّس مع التّعويل على التّفسير العقلي لنصوصه والنّظرة التّفأولية لطبيعة الأنسان⁽⁴⁾.

التعداد والانتشار:

(1) سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتّى اليوم (دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية)، ص 306.

(2) أحمد عبد الوهّاب، طائفة الموخّدين من المسيحيين عبر القرون، ص 38-39.

(3) أحمد عبد الوهّاب، طائفة الموخّدين من المسيحيين عبر القرون، ص 39.

(4) سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام، 306-307-314.

إنّ هذه الفرقة كتجمّع كنسي هي الأكثر ضالة من حيث عدد الأتباع، فلا يتجاوز عدد أتباعها مائتين إلى ثلاث مائة ألف في القارة الأمريكية، ومثلهم في أوروبا، وليست كنيستهم واسعة الانتشار، أي ليس لها صفة العالمية، بل ينحصر وجودها في عدد محدود من البلدان الأوروبية هي رومانية، هنغاريا والمملكة المتّحدة (المجلترا) وفي الولايات المتّحدة وكندا في القارة الأمريكية، وتواجهها الرئيسي اليوم هو في الولايات المتّحدة الأمريكية، وغالبية أتباعها هناك من الطبقة المتوسطة فما فوق، ومن المتعلّمين ذوي الثقافة العالية في الغالب، ولكن هذا لا يعني أنّ نفس أفكار التوحيديين قليلة الانتشار، بل توجد أعداد كبيرة من بين المسيحيين المثقفين العصرانيين ممّن يحملون نفس الأفكار دون أن ينتظموا بالضرورة تحت لواء الكنيسة التوحيدية أو الجمعيات التوحيدية الشّمول⁽¹⁾، نموّ التوحيد كان بطيئًا إلا أنّ آخر الإحصائيات تقدّر عدد كنائس الموحّدين يبلغ 370 كنيسة، وتوجد مدرستان أنشأهما الموحّدون لتعليم رجال الدّين أحدهما في شيكاغو والأخرى في بركلي بكاليفورنيا⁽²⁾ وهم منجمّ خصبٌ للدعوة إلى الله، وسيظل هؤلاء جميعًا برهانا ساطعًا على أن الإسلام هو دين الفطرة، وأن وعد الله تعالى بإظهاره حق⁽³⁾ **﴿ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ (4)**

علاقة التوحيديين بالأديان الأخرى: تعدّ هذه الفرقة أمّا عقلانية وليبرالية (أي منفتحة ومتحرّرة) جدًّا في فكرها خاصة في العقود الأخيرة، بحيث أصبحت ترى جميع الأديان العالمية بما في ذلك الإسلام أديان حقّة تكتنز في داخلها وجوهرها الحقيقة التي توصل الإنسان إلى الله⁽⁵⁾

خاتمة:

رأينا من خلال هذا البحث الموجز مسيرة التوحيديين في التاريخ المسيحي فرغم محاولة المثّلين إطفاء نور التوحيد إلا انه في كل عصر يظهر أشخاص لا يتقبّلون التّثليث وينادون بالتّوحيد ويرفضون تأليه المسيح -وتقول دائرة معارف لاوس الفرنسية (عقيدة التّثليث وإن لم تكن موجودة في كتب العهد الجديد ولا في عمل الآباء الرسولين ولا عند تلاميذهم المقربين إلا أن الكنيسة الكاثوليكية والمذهب البروتستنتي يدعيان أن عقيدة التّثليث كانت مقبولة عند المسيحيين في كل زمان... إن عقيدة إنسانية عيسى كانت

(1) سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام، 307.

(2) أحمد عبد الوهّاب، طائفة الموحّدين من المسيحيين عبر القرون، ص53.

(3) <http://www.alhawali.com> يوم 2018 /12/10 م على الساعة 00:37.

(4) يوسف 21.

(5) سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتّى اليوم (دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية)، الأوائل، سورية-دمشق، ط2، 2005م، ص306.

غالبية طيلة مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود المنتصرين، فإن الناصريين سكان مدينة الناصرة وجميع الفرق النصرانية التي تكونت عن اليهودية اعتقدت بأن عيسى إنسان بحت مؤيد بالروح القدس، وما كان أحد يتهمهم إذ ذاك بأنهم مبتدعون وملحدون، فكان في القرن الثاني مبتدعون وملحدون، فكان في القرن الثاني مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح، ويعتبرونه إنساناً بحتاً... وحدث بعد ذلك أنه كلما ازداد عدد من تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد لم تكن موجودة من قبل).

وتؤكد الموسوعة الكاثوليكية الحديثة: "إن صياغة الإله الواحد في ثلاثة أشخاص لم تنشأ موطدة وممكنة في حياة المسيحيين وعقيدة إيمانهم قبل نهاية القرن الرابع"⁽¹⁾.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب المقدّسة:

القرآن

الكتاب المقدّس (العهد القديم والعهد الجديد)

- 1- إبراهيم بن عبد الرّحمان الدميحي، المسيحية من التّوحيد إلى الوثنية، سلسلة: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء)، دط، 1433هـ.
- 2- أحمد عبد الوّهّاب، طائفة الموحّدين من المسيحيين عبر القرون، مكتبة وهبة-دار التّضامن-، ط1، 1980م .
- 3- رأفت عبد الحميد، الدّولة والكنيسة،(قسطنطين) ج1، 1974م.
- 4- رمسيس عوض، المرطقة في الغرب، سيناء، القاهرة، ط1، 1997م.
- 5- سلطان عبد الحميد سلطان، الجامع النّصرانية ودورها في تحريف المسيحية، مطبعة الأمانة، القاهرة، ط1، 1990.
- 6- كيرلس الأنطوني، عصر الجامع(دراسة علمية وثائقية للمجامع المسكونية الكبرى الأربعة)، تن: ميخائيل مكسى إسكندر، مكتبة المحبّة، مصر، ط1، 2002م.
- 7- ماهر يونان عبد الله، الطّوائف المسيحية في مصر والعالم، تق: جرجس صبحي، المركز المصري، دط، 2001.
- 8- محمد أحمد الحاج، النّصرانية من التّوحيد إلى التّثليث، القلم، دمشق، ط1، 1992م.
- 9- منقذ بن محمود السقار، الله جلّ جلاله واحد أم ثلاثة،(سلسلة الهدى والنّور) مكة المكرمة، دط، 1424هـ.
- 10- ول ديورانت، قصّة الحضارة(الإصلاح الدّيني)،ت: عبد الحميد يونس، دار الجيل، بيروت، دس، ج24.

11- يوسايبوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تر: مرقس داود، القاهرة، ط2، 1979م.

المواقع الإلكترونية:

- <http://www.alhawali.com/main/8664-2-1>.
- <http://www.alhawali.com>.
- <http://www.ebnmaryam.com/vb/t182161.html>.
- <http://www.ebnmaryam.com/vb/t182161.html>.